أثر الثورة العربية في الحرب العامة

لا يصح أن نبالغ كثيراً في تأثير الثورة العربية في الحرب العامة، فإن الحجاز كانت مفتقرة إلى الحلفاء في كل شيء. في السلاح والذخيرة، والمؤونة والغذاء، والقوات الفنية. ولكنا من جهة أخرى لا يصح أن نقلل من أهمية الثورة وتأثيرها في موقف الأتراك في الشرق.

واللورد سسل وزير الحصار (وهو أخبر من غيره بمدى هذا التأثير) قد وصف الأعمال العسكرية بعد إعلان الثورة في مجلس اللوردات في خطبته الآتية:-

« إني بإذن مجلس الندوة أصف بقدر ما يمكن من الإيجاز أدوار الأعمال الحربية التي جرت منذ إعلان الاستقلال العربي في مكج في شهر يوليو سنة ١٩١٦. كان للترك في ذلك الوقت في الأقطار الحجازية جيش نظامي مؤلف من عشرين ألف جندي مزد بالمدفعية المتناسبة وكل لوازم النقليات والمواد الغذائية والمهمات الحربية، علاوة على السكة الحديدية العسكرية التي تصل الجيش المذكور مباشرة مع مراكزه الشمالية. إن العرب الذي انضووا تحت لواء الحرية والاستقلال لم يكونوا منظمين ولا مزودين بالأسلحة الحديثة، وبالرغم من ذلك فقد تسنى لهم منذ أول الحركة الاستيلاء على جدة ومكة، والطائف، وينبع، والوجه، والعقبة وتيْما؛ وعلى أثر ذلك انضم كثير من القبائل العربية إلى جانب جلالة ملك الحجاز، وتطوع كثير من الضباط والجنود العرب الموجودين عندنا في الأسر في الجيش العربي، فشكل جلالته منهم قوة متمرنة مستديمة ليحفظ بها ما استولى عليه، ويوسع نطاق الاستقلال العربي، ولقد كانت نتيجة المجهود الذي بذله هذا الجيش القومي بقيادة أصحاب السمو: الشريف علي، وعبد ا ، وفيصل، وزيد أن سواحل البحر الأحمر طُهرت من الأتراك على مسافة

٨٠٠ميل، كما أن مواصلات السكة الحديدية العسكرية انقطعت مراراً عديدة، وألحقت خسائر جسيمة في إدارات السكة الحديدية وعرباتها ومستودعاتها، والمدينة المنورة نفسها محصورة منذ سنة. وقد تقدم الشريف فيصل بجبهة جيشه من مكة إلى الطُّفلة على شواطئ البحر الميت يعني على مسافة ٨٠٠ ميل. وقد كانت نتيجة الغارة التي قام بها فريق من الجيش البريطاني على عمارة أنها ساعدت الجيش العربي على الاحتفاظ بمراكزه، والخسائر التي ألحقت بالأتراك حتى الآن جسيمة جدا، ويمكننا أن نقول بكل اطمئنان: إن القوات العربية منذ الاستقلال العربي حتى الآن قد حصرت وأسرت وأشغلت ٤٠٫٠٠٠ جندي تركي، وغنمت أكثر من مائة مدفع، وبالرغم من انهماك الحكومة الحجازية ي الجهاد في سبيل الحرية والاستقلال فقد تسنى لها افتتاح عصر جديد من النظام والترتيب لم تعرفهما الأقطار الحجازية منذ دخلت تحت سلطة الأتراك، وقد نجحت الحكومة العربية باتخاذ التدابير اللازمة لتسهيل الحج في السنتين الأخيرتين، ولقى الحجاج من ضروب الرفاهية والعناية الطبية ما لم يسبق لهم التمتع به من قبل، وكان الحج في كلتا السنتين سالماً من الأوبئة والتعديات العادية والاضطرابات. وفي القسم الشرقي من جزيرة العرب قد برهن الأمير ابن سعود أنه حليف متين، وقد أسس استقلال القسم الأعظم من نجد، ومازال أمير حايل شخصيا تحت حكم الأتراك وقد مضى عليه سنة وهو متغيب عن عاصمته».

وقد أطرى اللورد اللنبى شجاعة الجيش العربي وإبلاءه البلاء الحسن في إقصاء الأتراك عن البلاد العربية، كما أطرى المساعدات العظيمة التي أسدوها والأثر الحربي الذي لا ينكر في ميدان فلسطين، وأن العرب بانضمامهم للحلفاء لم يفيدوهم فقط فائدة مادية، بل إن الملك حسيناً بذل نفوذه المعنوي في سائر الجهات التي كان دعاة الأتراك يبثون فيها دعوتهم ضد الحلفاء.

أرسل الملك حسين الشيخ (عباس مالكي) من علماء الحجاز إلى الحبشة حسب طلب الإنجليز، فنشر الدعوة أو بعبارة أخرى للحلفاء ، لأن غاية الجميع واحدة؛ وأحبطت بعثة الشريف حسين مساعي رسل الأتراك وأعادت السكون إلى تلك الأطراف. كما هيأ الشيخ سليمان أزهر لإرساله إلى بلاد التركستان، ولكن الانقلاب الروسي حال دون سفره.

نعم إن الجيش العربي كان يستمد من الحلفاء لا سيما الإنجليز كل شيء: المال والذخيرة والغذاء والسلاح، ولكن العرب لم يضنوا بشيء في سبيل استخلاص بلادهم من الأتراك، بل بذلوا نفوسهم وهي أعز شيء بذل بالسماح، ولقد أمد الحلفاء بعضهم البعض بالسلاح والرجال وغيرهم، كما أمد الألمان الأتراك بالسلاح والمال ورجال الفن.

ومهما قيل فإن ما أسداه العرب للحلفاء من الأعمال العسكرية وما خففوا به الضغط عنهم أثمن من الذهب الذي تدفق مرة ثانية إلى الخارج بما اشتراه العرب من الضروريات.

لقد بالغ الناس كثيراً في هذه الإعانات، ولم تر كتاباً من الكتب التي نشرت أخيراً أزال الستار عن هذا وأوضح لنا هذا الغموض، ولذا فإننا نحاول باختصار أن نذكر شيئاً هنا من الأوراق التي تحت أيدينا خدمة للتاريخ العربي، والحقيقة التي ينشدها المنصفون.

في كتاب بتاريخ[1] ٢٩ مارس سنة ١٩١٧ من دار الاعتماد البريطاني للملك حسين أن الإعانات كانت توزع كالآتي:-

٤٠ ألف جنيه لسمو الأمير فيصل

(١) راجع نص الكتاب في الذيل.

٣٠ ألف جنيه لسمو الأمير عبدالله

٢٠ « « « « علي

١٥ « « « « زيد

---

١٢٥ ألف جنيه

وإنه من ذلك التاريخ سيزاد ١٠ آلاف على ما يدفع لسمو الأمير فيصل، ومثلها لسمو الأمير عبدا ، فيصبح ما يتناوله الأول ٥٠ ألفاً وما يتناوله الثاني ٤٠ ألف جنيه أي أن المبلغ الشهري كان أولا ١٢٥ ألف جنيه فأصبح ١٤٥جنيه على أن هذا المبلغ قد زاد حتى وصل إلى ٢٠٠ ألف جنيه.

وفي كتاب[١] لدار الاعتماد البريطاني بجدة بتاريخ ١٣ ابريل سنة ١٩١٩ أن الحكومة البريطانية خفضت الإعانة التي تدفع إلى الحجاز إلى ١٢٠ ألفاً منها ٨٠ ألفاً الحكومة دمشق أو بعبارة أخرى للأمير فيصل، ولكنها زيدت بعد ذلك إلى ١٥٠ ألفاً، ثم خفضت إلى ١٢٠ ألفاً مرة ثانية، ثم إلى ١٠٠ ألف، وأن في النية تخفيضها إلى ٨٠ ألفاً، غير أن الحكومة البريطانية استمرت تدفع ١٠٠ ألف للحجاز حتى شهر يوليو سنة ١٩١٩.

وفي كتاب[٢] آخر من دار الاعتماد البريطانية للملك حسين بتاريخ مايو سنة ١٩٢٠ أن المبلغ الذي وصل إليه من الخزانة البريطانية عن المدة ما بين إبريل سنة ١٩١٨ لغاية ٣١ مارس هو مبلغ ٢,٤٧٥,٠٠٠ باعتبار ٢٠٠ ألف جنيه كل شهر مع إضافة ٢٥ ألف جنيه علاوة على كل من ثلاثة الأشهر إبريل ومايو ويونيه.

---

(١) راجع نص الكتاب في الذيل.
(٢) راجع نص الكتاب في الذيل.

وفي كتابين بتاريخ ١٤ فبراير سنة ١٩٢٢ وأول فبراير سنة ١٩٢٣ أن المبلغ الذي وصل إليه من أول إبريل سنة ١٩١٩ إلى ٣١ مارس سنة ١٩٢٠ كان ٩٢٥,٥٧٥ جنيها و ٧ شلنات، و ٥ بنسات، وفي أثناء سنة ١٩٢٠ المتداخلة في ١٩٢١ وصل إليه ٢٧,٢٥٣ جنيهاً و ١٥ شلناً و ٦ بنسات.

هذا ما يختص بالنقود التي كانت ترسل من الجانب البريطاني لمساعدة الثورة العربية، أما الأغذية فيكفي أن نقول: إن الحجاز ليس بلداً زراعياً يمكن أن يقوم بحاجات سكانه وما فيه من الأودية المزروعة لا يكفي بحاجات السكان؛ ولذا فقد كان الحجاز دائماً محل عطف ورعاية من سائر ملوك المسلمين، وفي أثناء الثورة العربية كانت إنجلترا تقوم بتقديم كل ما يحتاج إليه الجيش العربي في سائر الميادين، كما أنها كانت ترسل إلى مكة مقادير غير قليلة للأهالي الذين كانوا في أشد حاجة لهذه المساعدة، ربما كان من المفيد أن ننشر قائمة بما أرسل من الأغذية في سبتمبر من سنة ١٩١٧ ليكون لدى القارئ صحيحة مما كان يقوم به البريطانيون أثناء الحرب لتموين الثورة العربية .

أما الأسلحة والذخيرة فالثورة كلها كانت مسلحة بأسلحة إنجليزية وقليل من الأسلحة الفرنسية، ولكن الشيء الذي يجب أن نذكره هنا: أن الحكومة البريطانية كانت دائماً تتجنب كل ما من شأنه أن يثير شبهة تدخلها في الحجاز، فلم ترسل طياراتها أو رجالها الفنيين إلا إلى الأماكن البعيدة عن مكة والمدينة، ولعلمها أن جيش الشريف ينقصه الشيء الكثير من الضباط المدربين والعسكر النظاميين فقد أمدت جيشه بعدد من ضباط الجيش المصري وجنوده في الطائف، مكة، والوجه، كما أن الفرنسيين أيضاً أمدو الجيش العربي ببعض الضباط، ولكن أثرهم كان ضعيفاً بالمقارنة إلى المساعدات البريطانية.

شهر سبتمبر

ما أرسل في هذا الشهر		يرسل على الأريثوزا	يرسل على الباخرة الحب	ما يبقى بجدة لحين وسول باخرة الذخيرة الثانية من الهند
	دقيق	٣٠٠٠	٣٠٠٠	٥٠٠٠
	أرز	٣٢٠٠	٥٠٠٠	٣٠٠٠
	ينبع بن	–	٢٥٠	–
	سكر	–	١٨٠	–
	شعير	٥٠	٢٠٠	–
	دقيق	–	٣٠٠٠	
	أرز	–	٥٠٠٠	
	الوجه بن	٢٥٠	–	
	سكر	٢٥٠	–	
	شعير	٢٥٠	–	
الأمير زيد بالعقبة	دقيق	١٢٠٠		
	أرز	١٢٠٠		
	بن	٥٠		
	سكر	٤٠		

ملاحظة :

١- كل الأعداد معتبرة بأكياس صغيرة بخلاف الشعير فمحتسب بأكياس كبيرة .

٢- البن معتبر بالصناديق.

ويظهر أن هذه المساعدات كانت دون حاجة الجيش، فإن الملك حسيناً كان كثير الشكوى ويطلب من وقت لآخر المزيرد، كما أنه كان يتهدد البريطانيين بالاستقالة إذا لم تجب طلباته، ولكن البريطانيين كانوا يعالجون الأمر بالحكمة والصبر والأناة شأنهم في معالجة سائر الأمور حتى انتهت الحرب كما يشتهون من انتصاراتهم وانتصار حلفائهم على ألمانيا وشركائها.

obeikandl.com